من دلالات المكان في قصص القرآن (سورة الكهف نموذجاً)

عبد المنعم إدريس مجاور

أستاذ مساعد، وزارة التعليم والتعليم العالي، قطر

الملخّص

تحاول هذه الدراسة أن تميط اللثام عن بعض دلالات المكان الكامنة في سورة الكهف باعتبارها نموذجاً فريداً من نماذج القص في القرآن الكريم، ويرتبط عنوان الدراسة بمضمونها؛ إذ يشير إلى "بعض" دلالات المكان ويتخذ منه مجالاً للبحث والدراسة، مسلطاً الضوء على دوره وأثره ودلالاته، غير مُغْفِل دور العناصر الأخرى؛ من حيث تبادل العلاقات بين المكان وغيره من عناصر السرد، وبيان الدلالات والإيحاءات المكانية من خلال النص وبِناه العميقة، إضافة إلى بيان دوره من خلال التقاطبات أو الثنائيات المكانية الكاشفة عن الدور المكاني من خلال تعارضاته المختلفة؛ فتنوع الخط البياني لتقاطبات المكان وتأرجحه بين الصعود والهبوط، أو كثرة الورود وقِلَّته في قصص سورة الكهف أكسبها قدراً هائلاً من التشويق والإثارة التي تجعل قارئها أو المستمع إليها لا يمل من قراءتها ولا من الاستماع إليها.

إنّ تعدد الأمكنة في قصص سورة الكهف وتنوعها، وظهورها أو تواريها قد خضع لمقتضيات أحداث القصة وغاياتها التي تعتمد حبكة تقوم على الترابط المتين بين أجزائها لتبليغ الرسالة الدينية، وهو ما جمع بين خيوط الأمكنة في تلاحم مكاني رصين، فانضمت أمكنة القصة الواحدة، وانتظمت أمكنة قصص السورة الأربع في خيط دلالي واحد جمع وشائجها.

كما ألقت الدراسة الضوء على الأغراض الدينية والرؤية الفنية للتوظيف المكاني في سورة الكهف في محاولة للكشف عن أثر حضور المكان وغيابه في بنية السرد في قصص تلك السورة؛ إذ إن حضور المكان وظهوره كان لغاية وقيمة، كما أن غيابه وتواريه كان لغاية وقيمة أيضاً.

مقدمة

النص القرآني ثري بعناصر السرد السارية في تضاعيفه ،المؤثرة في بنيته ،الدافعة لتطور الأحداث نحو بلوغه الغاية من القص فيه ،وقد احتل القصص القرآني مساحة من كتاب الله- عز وجل- كبيرة؛ لأهداف يرمي القرآن الكريم إليها ،وغايات يقصد نحو تحقيقها، وقضايا يريد إثباتها وتأكيدها، وأخرى يريد تجنبها والتحذير منها .

وإذا كانت القصة – بصفة عامة – تستهوي الإنسان وتجذبه فيميل – بطبعه – إلى قراءتها أو مشاهدتها والاستماع لها، ويفضلها – في الغالب- على غيرها من أنواع القول، فإنها في القرآن تتعدى – من غير شك- مجرد التسلية أو تزجية أوقات الفراغ إلى غايات أرجى، وأهداف أسمى تنطلق بالقارئ إلى آفاق أرحب، وعالم من الواقع آكَد؛ لأنها تتخطى عتبات الغاية إلى نبل الهدف والمقصد، فليس في القرآن قص للقص، ولا حكي لمجرد الحكي؛ فرسالة الإنسان التي خُلق من أجلها هي عمارة هذه الأرض، أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم كتاب تشريع نزل ليهدي الناس إلى الخير، وهو في طريقه لهذه الغاية يراعي متطلبات النفس البشرية، ويشبع ميلها ورغبتها في الاستمتاع بالقص دون أن يحيد به عن الطريق المرسومة له من سن التشريعات، وترسيخ العقيدة، وبيان العبادات، والإرشاد لمحاسن الأخلاق إلى غير ذلك من مقاصد القرآن ومراميه. . يفعل القرآن الكريم ذلك كله – وغير ذلك من مراميه البعيدة – في انسجام مبدع، ونسق مترابط إذ يجمع القرآن الكريم "بين الهدف الديني، والمطلب الفني من حيث الجمال في العرض، والتنسيق في الأداء، والتأثير في النفس استعداداً لتلقي المطلب الديني في صفاء وجمال وجلال". [1] فهو كتاب﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2] .

وعلى الرغم من تلاحم أجزاء القرآن وترابط سوره، وأخذ آياته بعضها بأعناق بعض في نظم متسق الألفاظ والمعاني فإن لكل سورة من سوره رباطاً يربطها، وحبكة تجمع أولها بآخرها في وحدة عضوية تجعل لكل سورة كيانها المستقل وشخصيتها المتفردة، وإن كانت هي ذاتها حبة من حبات العقد المنظوم ابتداء من سورة الفاتحة في بداية كتاب الله تعالى، وانتهاء بسورة الناس في ختامه؛ أي أن "أجزاء كل سورة تشترك في بنية كبرى

تجمعها. ولمّا كانت القصة القرآنية تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً عضوياً لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة؛ فقد خضعت هي الأخرى لحبكة تشد إليها كل مكونات القصة، وهذا ما يستدعي حتماً انسجام البنيات الصغرى واتحادها لتصب في قالب واحد، هو البناء الكلي للحكاية" [3]. وقد ساعدت الفاصلة القرآنية على خلق ذلك الترابط العضوي المتلاحم؛ إذ "ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد، شحنة من الواقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتلاحم للآية" [4].

ويعد المكان من البنى الصغرى المكونة لبنية القص الكلية الداعمة له، المتداخلة مع زمانه، الحاوية لأحداثه، التي تعد مسرحاً لشخوصه، ذلك "المكان" الذي ربما تجاوز مجرد كونه حاوياً للأحداث، ومسرحاً للشخوص إلى اعتلاء عرش البطولة؛ فيُضْحي البطلَ الذي تسخّر له كل عناصر السرد الأخرى فإذا بها عناصر ثانوية تابعة له؛ فللمكان سطوته التي من خلالها يستطيع جمع عناصر السرد "من شخصيات يراد لها أن تخترقه، وتفعل فيه سلباً وإيجاباً، وأحداث يتعين أن تقع ضرورة في موضع معلوم، ومسار زمني يتبعه اتجاه السرد في توافق مع نسق مكاني محدد" [5].

ويكتسب المكان أهميته من خلال كشفه عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات، فيتجاوز مجرد حدوده التي تحيط به، وأبعاده التي تؤطره، فيغدو أكبر من كونه حدوداً وأبعاداً، وأعمق من كونه زوايا وأركاناً، ومن ثم انصب اهتمام هذا البحث على دلالات المكان، محاولاً الكشف عن جماليات ذلك المُكوِّن السردي، وبيان شيء من دلالاته في أصدق وأفصح نص عرفته البشرية.. في القرآن الكريم، وفي سورة احتل المكان فيها دور البطولة بلا منازع.

يحاول هذا البحث أن يميط اللثام عن بعض دلالات المكان الكامنة في نموذج من نماذج القص في القرآن الكريم، وفي سورة من سوره التي شكّل المكان بعداً مهماً، وعنصراً رئيساً من عناصر السرد فيها.. تلك السورة التي يلاقيك المكان فيها منذ أول عتبة من عتباتها؛ من خلال اسم السورة أو عنوانها: " الكهف" ذلك الاسم/ المكان الذي يحمل فيضاً من الدلالات، ويعبر عن كثير من التصورات التي استطاع النص القرآني أن يفصح

عنها، وأن يُحمِّلها أبعاداً ودلالات مختلفة ورؤى متنوعة، بل استطاع أن يجعل من (الكهف/ المكان) منطلقاً لأمكنة أخرى تعددت وتنوعت، ولكنها على الرغم من ذلك قد ارتبطت وتلاحمت في نسيج مؤتلف متناسق شكّل (فضاءَ السورة) باعتبار أنّ المكان "هو شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي يتضامن بعضها مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظماً بالدقة نفسها التي نظمت فيها العناصر الأخرى في الرواية؛ لذلك فهو يؤثر في بعضها، ويقوي من نفوذها كما يعبّر عن مقاصد المؤلف؛ أمّا في السرد القصصي القرآني فقد حضر المكان بقوة بوصفه "مشكِّلاً سردياً، له ما له من الإيحائية والتأثيرية والإفضائية التي تنصرف إلى تزكية المقاصد والغايات الكبرى، وتعزيز مواقف العبرة الدينية "[6] . فتلتقي العبرة الدينية بالغرض الفني، وإنهما لملتقيان في النص القرآني دون تخلف لأحدهما عن الآخر، وذلك من إعجاز القرآن الكريم؛ فإذا كان المكان في أي نص أدبي من نتاج البشر لا تتحدد قيمته التعبيرية إلا من خلال سياق يضُمُّه، فإنّه لا يأخذ قيمة في القرآن الكريم إلا ضمن السياق العام للقصة، ذلك السياق الذي يخدم الغرض الديني، وفي القلب منه أخذ العبرة والعظة؛ "فالقصة في القرآن الكريم تختلف عن غيرها في الوصف، والغرض؛ أمّا من ناحية الوصف فإن القصة في القرآن الكريم صدقٌ بكل كلمة، وبكل جملة من تركيبها، وغيرها من القصص لا يلتزم فيه ذلك، فإنه يتخللها كثير مما لا يطابق الواقع، أمّا الغرض فإنّ المقصد فيها يتصل بمقاصد القرآن أي تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الأفكار القديمة" [7].

ومن هذا المنطلق تتبدّى جدوى العنوان إذ يرتبط بمضمون البحث من خلال اشتماله على مكونات أربعة؛ يشير المكون الأول فيها إلى: "بعض" دلالات المكان؛ فـ"مِن" في العنوان "للتبعيض" ؛لأنه من المُسلَّم به أن الباحث يتعرض بالدرس والتحليل لبعض دلالات المكان في النص القرآني مما يفتَح الله به عليه من نورانيات سورة الكهف وإيحاءاتها ودلالاتها، وفيض معانيها التي لا تنقضي، وإعجازها المستمر المتواصل الباقي ما بقيت السماوات والأرض، ومن ثم كان التحديد بـ"مِن" حتمياً؛ لعدم إحاطة بشر بمدلولات آية واحدة من كتاب الله المعجز، ناهيك عن أن تكون سورة كاملة كسورة الكهف!!.

أمّا المُكوّن الثاني فيتخذ –من بين عناصر السرد– المكانَ مجالاً للبحث والدراسة،

مسلطاً الضوء على دوره وأثره ودلالاته، غير مُغْفِل دور العناصر الأخرى؛ إذ إن الحديث عن دور عنصر واحد بمعزل عن بقية العناصر السردية كالزمان والشخصيات والأحداث. . هو دور منقوص ينزعه من سياقه؛ لأن المكان يُعدّ "وعاءً للحدث وللشخصية، وفيضاً من المعاني والقيم ومظاهر الحياة التي تعيشها الشخصيات أو تحتوي على الشخصيات التي تنمو مسيرتها ضمن إطار لها ولغيرها من عناصر القصص"[8].

ويأتي المكون الثالث ليحدد أن دلالاتِ المكان المنشودة ومعالجتَها أو الإفصاحَ عنها تتخذ من القرآن الكريم مادة للدراسة، وتقتصر في تناولها على القصص فيه، ليأتي المكون الرابع فيكون أكثر تحديداً بتخصيص قصص سورة الكهف مسرحاً للدراسة، ونموذجاً لتجليات المكان فيها؛ ذلك القصص المتعدد المتآلف المترابط في نسق واحد، فعلى الرغم من اشتمال سورة الكهف على أربع قصص رئيسة متمثلة في قصة أصحاب الكهف من الآية 8 إلى الآية 26، وقصة "صاحب الجنتين" من الآية 31 إلى الآية 44، وقصة "موسى والعبد الصالح" من الآية 59 إلى 82، وأخيراً قصة "ذو القرنين" من الآية 83 إلى الآية 98 وعلى الرغم من اشتمال السورة على ضرب المَثَل بالحياة الدنيا، والإشارة إلى قصة إبليس ورفضه السجود لآدم، وعلى الرغم من اشتمالها أيضاً على مشهد يوم العرض على الله عز وجل، ومشهد النار وعرض المجرمين عليها، أقول: على الرغم من هذا التعدد والتنوع فإن نظماً لكل هذا في نسق واحد وخيط سردي متصل لا يشعر قارئ السورة فيه بفجوة أو نقلة مفاجئة بين القصة وأختها لَمِن إعجاز القرآن الكريم، وحري بالباحث وشرف له أن يقف أمامه بالدرس والتحليل، واستلهام الدروس والعبر، وحري به أن يعيش في كنفه، وعبر هذه المنطلقات كلها كان اختياري لعنوان هذا البحث، خاصة أن الدراسات السابقة عن المكان في القرآن قد جاءت إما عن دراسة المكان في القرآن الكريم كله، وإما عن المكان في قصة يوسف أو يونس، والدراسة التي اتخذت من سورة الكهف مادة لها جاءت معالجتها مركزة على جانب الوصف، فلم تتخذ من المكان وأبعاده وعلاقته ودلالاته منطلقاً للدراسة أو التحليل وإنما ركّزت على جانب الوصف، كدراسة د. يوسف سليمان الطحان، المعنونة بـ" الوصف في قصص سورة الكهف– دراسة تحليلية. وقد جاءت دراسته في مبحثين؛ ركز في مبحثها الأول على أشكال الوصف، كوصف الشخصية، ووصف

الأحداث، ووصف المكان، ووصف الأشياء، وعالج المبحث الثاني أنماط الوصف (تصنيفي/ تعبيري – موضوعي/ ذاتي – بسيط/ مركب– مقيد بالسرد / حر) [9].

والاختلاف بين المعالجتين واضح جلي؛ فتركيزي في هذه الدراسة على جانب التمثيل والحضور المكاني لا يقتصر بحال من الأحوال على الوصف فحسب، بل يتعداه إلى تبادل العلاقات بين المكان وغيره من عناصر السرد، كما يتعداه أيضاً إلى بيان الدلالات والإيحاءات المكانية من خلال النص وبِناه العميقة، كما يتجاوزه إلى بيان الدور المكاني من خلال التقاطبات أو الثنائيات المكانية الكاشفة عن الدور المكاني من خلال تعارضاته المختلفة، فدراستي تتخذ من المكان مرتكزاً رئيساً، ومحوراً أساسياً باعتبار سورة الكهف نموذجاً متفرداً لحضور المكان، وعلامة دالة عليه.

المكان في سورة الكهف بين الأغراض الدينية والرؤية الفنية

إن القصة – بصفة عامة – هي إحدى الأدوات التي يوظفها القرآن الكريم لأغراض دينية باعتباره كتاب دعوة دينية في المقام الأول، وباعتبار القصة وسيلة مهمة يوظفها القرآن الكريم لإبلاغ دعوته ورسالته. وإذا كان ما سبق ينطبق على القصة بصفة عامة، فإنه – بالطبع – ينطبق على مكوناتها وعناصرها، ويأتي في مقدمة هذه العناصر وفي القلب منها المكانُ مع مراعاة الاختلاف بين القصص في كلام البشر، وجوانب الإعجاز والغايات من القصص في كتاب الله المعجز؛ "فالقصص في القرآن قصص من نوع خاص، فهو ليس فناً خالصاً يقدَّم لغاية جمالية، تهدف للإمتاع، بل هي قصص صاغها الله –عز وجل– لتكون مثالاً للناس، وبهذا تكون الموعظة جانباً مهماً من جوانب القصص القرآني، أمّا الجانب الفني للقصص القرآني، فهو مختلف تماماً عن غيره، ولا عجب من ذلك فهو تنزيل من الله العزيز الحكيم، فالقصص القرآني يواكب أحدث ما وصل إليه الفن القصصي"[10].

ومن هنا كان للمكان في سورة الكهف – باعتباره عنصراً رئيساً من عناصر القصة–وظيفته الدينية، ودوره الفني في الوقت ذاته دونما إخلال بالوظيفة أو إضرار بالدور. بل إنه انطلق بهما معاً في فضاء السورة إلى مصاف لا يرتقي إليه إبداع بشر، ولعل ذلك يتضح – على سبيل المثال – في قصة أصحاب الكهف، واختيار (الكهف/

المكان المغلق) مسرحاً لقصة اختصرت تاريخاً يربو على ثلاثة قرون ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾.

فالكهف/ المكان قد أدى دوره الديني الذي أراده الله -سبحانه وتعالى- له، فوقف شاهداً على قدرته -سبحانه- التي لا تحدها حدود، وقد سار دوره الفني في ركاب ذلك الغرض الديني ولم يتخلف عنه؛ فأدى الكهف الدور المنوط به على الصعيد الفني من خلال تخطيه انطباع المكان المضاد/ المخيف باعتباره كهفاً. وكلمة "كهف" بجرس حروفها، وببناها الصغرى، تشيع مشاعر الخوف والرهبة، أو تدعو إلى الترقب وتوخي الحذر على أقل تقدير، فنحن أمام كهف في جبل؛ مما يجعله مظنة إيواء الأفاعي والحشرات احتماء به من حرارة الشمس وسياط أشعتها في الجبال، وهو كهف غير مُمَهَّد للجلوس، ناهيك عن اتخاذه دار إقامة أو مرفأ راحة، أو مكان نومٍ خلال هذه المدة الطويلة من الزمن.

والكهف - على الصعيد المعنوي- قد يكون مظنة الأرواح الشريرة عند بعض أصحاب القلوب الضعيفة، فيثير في نفوسهم الخوف والذعر.. إلى آخر تلك المشاعر العدائية المضادة التي قد تثار في نفس المتلقي تجاه المكان، ولكن (الكهف/ المكان) لم يرتضِ لنفسه في سورة حملت اسمه أن يكون محايداً، وإنما تخطى ذلك الانطباع السلبي إلى الولوج إلى عتبات الانطباع الإيجابي مباشرة؛ فأصبح الملجأَ الوحيدَ، والمأوى الآمن!! وتحولت كل المشاعر السلبية المضادة حياله إلى وعاء للمشاعر الإيجابية التي تُوجَّه للمكان الأليف ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[11] والإيواء مكان الرعاية والعناية، فكأنهم كانوا على ثقة في معية الله وحفظه؛ لذا لهجت ألسنتهم بالدعاء فور دخولهم الكهف، وهو ما رشحته الفاء الدالة على التعقيب والسرعة (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا..). لقد أصبح الكهف هنا غاية مكانية من خلال حرف الجر (إلى) وجاءت كلمة (الكهف) معرّفة بأل التعريف، وكأنه معروف للفتية، معهود لهم، أو كأنهم خَبَرُوه، وخَبَروا العيش فيه، وهذا لم تذكره السورة صراحة، ولم ترد في كتب التفاسير إشارة إليه - على حد اطلاعي وبحثي - وكأن الله -عز وجل -قد أراد أن يلقي في قلوب هؤلاء الفتية المؤمنين بشائر الطمأنينة، وبواكير رسائل الأمن والأمان منذ بداية الخطاب في الآية الكريمة، حتى إذا كانت نهاية الآية تحولت صيغة الفعل من

الماضي (أوى) إلى صيغة فعل الطلب الذي يحمل معنى الدعاء (آتنا من لدنك رحمة). وقوله : (من لدنك) يدل على عظمة تلك الرحمة وهي التي تكون لائقة بفضل الله تعالى، وسعة جوده" فكأنهم لجأوا إلى سعة رحمة الله من ضيق ما هم فيه (ضيق مكاني متمثل في الكهف، وضيق نفسي مما يختلج في صدورهم من خوف وترقب) فما عند الله (لدنه) أرحب وأوسع، سواء كان مادياً متمثلاً في جنة واسعة عرضها السماوات والأرض، أو معنوياً مما يبثه الله في قلب المؤمن من ثبات وطمأنينة ورضا وثقة في نصره وتأييده.

هذا، وتأتي عقب هذه الآية العاشرة بآيات خمس الآيةُ السادسة عشرة من السورة مؤكدة معنى تحقق تلك الرحمة المنشودة، وتهيئة المرفق وليس الرشاد فحسب، ففي المرفق رِفْق، وهو "من الارتفاق. والمرفق: ما ارتفقت به، والمرفق بالفتح: المرافق "[12] وتأتي هذه الآية بالألفاظ ذاتها(الإيواء – الكهف – ربنا – الرحمة – أمرنا– يهيئ) ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾[13](فأْوُوا) جاء الفعل حاملاً الأمر المباشر الذي لا مواربةَ فيه، ولا سبيل إلى تأجيله؛ فالأمر بالنسبة للفتية مسألة حياة أو موت، وبالنسبة لله –عز وجل– آية يسوقها لعباده ليروا بأعينهم شيئاً من عجائب قدرته، وهو ما ذُيِّلت به الآية ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾، وجاء الفعل بصيغة المضارع المتجدد المستمر (ينشر – ويهيئ) والنشر في اللغة: الريح الطيبة، وفي الحديث النبوي الشريف: خرج معاوية ونشْرُه أمامه، يعني المسك، والنشر: الإحياء بعد الموت (والناشرات نشراً) قال ثعلب: هي الملائكة تنشر الرحمة . . ونشرتْ الأرضُ: أصابها الربيع فأنبتت، والنشر عكس الطي "[14] "وهيّئ لنا"؛ أي أصلح، من قولك: هيأت الأمَر فتهيَّأ "[15].

لقد تحول الكهف من كهف أو غار ضيق إلى مكان فسيح، والفسحة هنا فسحة نفسية قبل أن تكون فسحة مكانية، ومن ثم عبّر بـ" انشر" الدالة على الرائحة الطيبة، والدالة على الإحياء بعد الموت أيضاً، وهو ما تحقق بإيقاظ الفتية من نومهم الطويل، وفي النشر كذلك معاني البسط "ينشرها لكم: يبسطها عليكم"[16] والبسط هنا قد يكون مكانياً ماديا، وقد يكون معنوياً نفسياً بالتفريج عنهم، وإخراجهم من حالة الخوف التي كانوا عليها، والعجيب في الفعلين "ينشر ويُهَيِّئْ" أن الأول جواب شرط، والثاني معطوف

عليه؛ أي أنه لن يتحقق لكم نشر الرحمة، ولا تهيئة المرفق إلا إذا أَويتم. بل وأويتم إلى الكهف رحمةِ الله لكم، ومكان معجزته معكم، الذي به يخلد ذِكْرُكم، فسيصبح (الكهف/ المكان المخيف) علامة لكم ودليلاً عليكم، إليه تأوون، وبه تُعرفون، وبقصته معكم تَخلُدون.

وهكذا الأمر لو تتبعنا الأمكنة ودلالاتها في سورة الكهف من أول آية فيها؛ حيث نزول القرآن من (السماء/ المكان) إلى (الأرض/ المكان) ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ (17)، وحتى آخر آياتها ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ . .﴾(18)، والوحي من (السماء/ المكان) إلى (الأرض/ المكان) ومن ثم نلحظ الدور الفني متآزراً مع الدور الديني للقص ولتوظيف المكان فيه؛ حيث يسيران معاً في اتجاه متواز ليسهما معاً في تحقيق الأغراض والأدوار المنوطة بهما.

ولو تتبعنا الأمكنة ودلالاتها لوجدنا الغرضين يسيران متوازيين؛ الغرض الديني المتمثل في بيان قدرة الله – عز وجل– التي تحطم نواميس الكون المعهودة للخلق كما في قصة أصحاب الكهف، وبيان الفرق بين العلم البشري القريب العاجل المحدود، والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصة موسى والعبد الصالح، وغير ذلك من مرامي السورة وأغراضها الدينية، ولوجدنا الغرض أو الرؤية الفنية التي يمكن تحليلها، ومحاولة معرفة أبعادها من خلال دلالات المكان وإيحاءاته داخل نسق السرد في السورة؛ فالغرض الديني لم يقف حائلاً دون نمو الغرض الفني في إهابه، بل يمكننا القول: إن الغرض الفني من وراء توظيف المكان في سورة الكهف لم يكن له أن يكتمل أو يستوي على سوقه لولا ذلك الغرض الديني الذي نزلت السورة لتأكيده وتثبيته، وهذه سمة لا تقتصر على سورة الكهف بل هي سمة القرآن في سوره كلها " فالقرآن كتاب دعوة دينية، وإن التناسق بين حلقة القصة التي تُعرض، والسياق الذي تُعرض فيه هو الغرض المُقدَّم، وهذا يتوافر دائماً ولا يخل بالسمة الفنية إطلاقاً " (19).

وعلى الرغم من خلوص القصص الفني – والمكان بالطبع أحد عناصره– لغرض الفن والإمتاع وتكريس الكاتب جهده كله وراء هذا الهدف فإن الباحث يستطيع أن يحكم بإطلاق على فنية توظيف المكان في القصص القرآني – وفي سورة الكهف محل

الدراسة خاصة- وتفوقه فنياً على أي عمل أدبي؛ سواء أكان روائياً، أم قصصياً. شعرياً، أم مسرحياً، تبوأ المكان فيه مكان الصدارة، وسوف تكشف صفحات هذا البحث عن كثير من ذلك الجمال الفني لتوظيف المكان في قصص سورة الكهف مركزة على الجانب التطبيقي الكاشف عن أدوار المكان في البنية السردية لهذه السورة المباركة.

دلالات المكان في قصص سورة الكهف

للمكان في السرد قيمته التي لا تنكر، ودوره الذي لا يمكن إغفاله. وإذا كان السرد منتِجاً للمكان فإن المكان يسهم - من غير شك- في خلق ذلك السرد، وفي القصص الفني - رواية أو قصة أو مسرحية- يعمد السارد إلى رسم أمكنة وفضاءات تَخَيُّلِيَّة ليوقع المتلقي في شَرَك الإقناع بواقعية هذه الأمكنة، وتلك الفضاءات، لكنّ النسق القرآني يأتي على خلاف ذلك راسماً لأمكنته خصوصية، ولفضاءاته تميزاً؛ كونها قائمة على الحقيقة والصدق والواقعية، تلك التي يفتقدها القصص الفني بشكل جزئي حيناً، وبشكل كلي في أحايين كثيرة؛ "فالقصة في القرآن الكريم صدقٌ بكل كلمة، وبكل جملة من تركيبها، وغيرها من القصص لا يلتزم فيه ذلك، فإنه يتخللها كثير؛ مما لا يطابق الواقع" [20]، وعلى الرغم من أن الغرض الديني هو الأساس في السرد القرآني فإنّ خضوع القصة في القرآن الكريم وفي سورة الكهف - محل الدراسة- لهذا الغرض لم يقلل من فنيتها، ولم يقلص من خصائصها الفنية المتعارف عليها، مع الأخذ في الاعتبار أن محاولة قياس فنيات القصة في القرآن - والمكان خاصة - بمقاييس القصة في عالم الفن ليس صواباً، بل إن العكس - في رأيي- هو ما يجب أن يكون إذا أردنا الإمتاع والإقناع والصدق والواقعية في آن واحد؛ فالقرآن يتخذ من الجانب الفني وسيلة للتأثير الوجداني؛ لذا لن تعدم فيه تأثيراً وجدانياً بلُغة بلغت الغاية من الجمال فنياً، أمّا "هذه الأدوات الإجرائية الجديدة التي تطالعنا بها، كلَّ يوم، العلوم الإنسانية لا ينبغي لها أن تستأثر بالتفرد، ولا أن تستبدّ بالتربع على عرش المنهجية الصارمة التي لا تبقي ولا تذر؛ فذلك تدبير مفلس إذا جئناه في تناول نص من النصوص؛ ولكن يجب أن تكون تلك الأدوات مطوِّرة لرؤيتنا للنصّ، ومكمّلة للنقائص التي ظلّت تعتور مساعي المحللين والمؤوّلين ابتغاء الاقتراب بتلك المساعي إلى نحو الكمال، الذي يظل بعيد المنال، على كلّ حال" [21].

هذا، ويقترن المكان في السرد القرآني في قصة أصحاب الكهف بغرض القصة ذاتها ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [22]. فحدَّد المكان هنا بإضافة أصحابه إليه "أصحاب الكهف والرقيم" فهو علامة عليهم، وهم أصحابه الذين به عُرفوا، وتُختتم الآية ببيان الغرض(كانوا من آياتنا عجباً)، وهي إشارة إلى أنه لا مجال للتمادي في العَجَب من هذه الآية، فالله –سبحانه– على كل شيء قدير، وما هذه الآية الحسية المُشاهَدَة إلا نقطة صغيرة في آيات الله في خلقه، وما كان في الغيب من هذه الآيات أجلّ وأعظم.

أمّا عن إحداثيات المكان السردي في سورة الكهف – بقصصها الأربع – فقد جاءت فاعلة في سير الأحداث، مؤثرة في نمو الشخصيات، وقد احتل المكان فيها الدور الأبرز، ويكفي تدليلاً على ذلك أنَّ السورةَ نفسها مكانٌ "الكهف" وأن القصص الأربع عُرفت بالمكان قبل أن يُعرف المكانُ بها؛ فالقصة الأولى "قصة أصحاب الكهف، والكهف مكان، والقصة الثانية: قصة صاحب الجنتين؛ والجنتان مكان، والقصة الثالثة هي قصة موسى مع العبد الصالح، ومسرح أحداثها البحر والسفينة والقرية، وكلها أمكنة، والقصة الرابعة: قصة "ذو القرنين" وما إن يُذكر اسمه حتى يستدعي الذهن السد والردم/ المكان، ومغرب الشمس/ المكان، ومطلع الشمس/ المكان، ناهيك عن تفاصيل تلك الأمكنة ومفرداتها وأشيائها؛ فالمكان يكشف عن وقائع الموصوف، وتفصيلاته، ويثير إحساساً بالمواطنة فيؤدي إلى تعميق الصلة بينه وبين الشخصية" [23].

وفي قصة الحياة التي نحياها يُعدُّ إدراك الإنسان للمكان أقوى، والإحساس به أشد من الإحساس بغيره، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن طبيعة إدراكنا المكان وأشياءه هو إدراك حسي ملموس، يقع تحت عدسة البصر التي هي أقوى الحواس، بل إن البشر قد أخضعوا تصوراتِهم العوالمَ المادية وغير المادية للمكان الذي يشكل تلك التصورات؛ "فالقرب والبعد، والارتفاع والانخفاض علاقات مألوفة تربط الإنسان ارتباطاً بدائياً بالمحيط الذي يعيش فيه، ولذلك مدَّت الإنسان بمفاهيم تعينه على التحدث عن ظواهر تبعد من حيث طبيعتها عن الإحداثيات المكانية الفيزيقية: ظواهر أخلاقية "السمو والتدني"، أو اجتماعية "الرفيع والوضيع"، أو نفسية "صغير النفس وكبير القلب" [24].

دلالات التقاطب المكاني في سورة الكهف

يمكن تقسيم المكان في القرآن الكريم باعتبار طبيعته إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : أماكن غيبية .

ثانياً: أماكن واقعية ذات مرجعية ؛ جغرافية أو تاريخية .

ثالثاً: أماكن إعجازية، وهي التي تأتي مرتبطة بالمعجزات، وبالسرد الإعجازي الذي يخرق النواميس الكونية، ويتخطى عتبة المنطق الطبيعي لحقيقة الأشياء كالكهف، ومطلع الشمس أو مغربها في سورة الكهف، وللأماكن الثلاثة نماذج في قصص سورة الكهف الأربع، وإن كان حضور الأمكنة بإعجازها، وخرقها للسنن المنطقي الطبيعي لحقيقة الأشياء وطبيعتها أوضح ؛ وذلك في سعي قصص السورة لتأكيد أغراضها الدينية، وتحقيقها معجزات تثبت قدرة الله- تعالى-، وتؤكد صدق نبوة نبيِّه محمد ﷺ كما في قصة أصحاب الكهف، أو في إيقاعها عقاباً إلهياً يستحقه ذلك المتكبرُ الجاحدُ نِعَمَ اللهِ عليه كما في قصة صاحب الجنتين، أو في تأكيدها تضاؤل علم البشر ومحدوديته أمام الحكمة الإلهية، وعلمِ الله الذي لا تحده حدود، مع لفت الأنظار إلى ضرورة التأمل في بواطن الأمور، وعدمَ التسرع بإطلاق الأحكام بناء على ظواهر معطياتها كما في قصة موسى مع العبد الصالح، أو في بيانها قيمة العدل، وفضل من يقف عند حدود الله لا يتجاوزها ؛ فلا يطغيه سلطان، ولا يبطره جاه ولا مال، كما الحال مع ذي القرنين ؛ فالوقوف عند المكان وتحليل دلالاته من خلال ثنائياته المختلفة " سيسمح لنا بالقبض على الدلالة الشاملة للعمل في كليته . والقراءة الكفيلة بالكشف عن دلالة الفضاء الروائي ستبنى على إقامة مجموعة من التقاطبات المكانية " [25] . وتشير فكرة التقاطب هذه إلى تشكّل المكان من خلال ثنائيات متضادة تجمع بين أشياء متباينة وتنقل العلاقات بين الفواعل وأفعالها ؛ من اتصال أو انفصال على أساس أن الطريقة التي يمكننا أن ندرك بها المكان " تضفي عليه دلالات خاصة : فهناك تعارض شائع بين المكان المتسع الذي يرتبط بالقفر والفراغ والبرودة وهو مكان يوحي بذوبان الكيان وتلاشيه، فالإنسان يتيه فيه، ويفقد نفسه، وبين المكان الضيق الذي يرتبط بالدفء والألفة والحماية حيث يتم التعارف بين الناس . . " [26] .

فهناك أماكن أليفة تمثّل بالنسبة إلينا عالم جذب واستقرار وارتباط، وهناك أماكن عدائية تعد أماكن طرد ونفور، ومن ثم يساعدنا جانب التشابه أو الاختلاف بين هذه الأماكن وتلك على أن نميط اللثام عن دلالات القصة، ويكشف لنا عن كثير من أبعادها التي ما كان لها أن تظهر أو تتضح من غير تلك الثنائيات أو التقابلات والتقاطبات المكانية.

ولعل ثنائية التشابه والاختلاف هذه تقربنا من السيميائية؛ ذلك العلم الذي "يحاول التسلط على النص من حيث هو، ولا سيما النص الأدبي لما فيه من تشاكلات لا توجد إلا فيه بحكم جمالية نسجه، ومجازية استعمالاته، وشفافية لغته وانزياحها" [27]. ومصطلح "التشاكل"، وهو "منحوت في أصله من جذرين اثنين إغريقيين (ISOS)، يعني المكان المتساوي، أو تساوي المكان، ثم أطلق هذا اللفظ على الحالّ في المكان؛ أي في مكان الكلام، فقُصِدَ به كل ما استوى من المقومات الظاهرة المعنى، والباطنته، والمتمثلة في التعبير أو الصياغة، وتأتي متشابهة مرفولوجياً أو نحوياً أو إيقاعياً أو تراكبياً عبر شبكة من الاستبدالات والتباينات، وذلك بفضل علامة سياقية تحدد معنى الكلام" [28]. ومن منطلق مفهوم التقاطب الذي يتوافق -إلى حد بعيد - مع السيميائية المرتكزة بالأساس على فكرة التشاكل والتباين، والمرتكزة أيضاً على مبدأ مفاده: أنه لا يمكن الوصول إلى المعنى إلا من خلال الاختلافات في مستوى التعبير، ومستوى المحتوى، أقول: من منطلق مفهوم التقاطب المكاني يمكننا تقسيم نوعي المكان (المرجعي- الإعجازي) إلى أماكن آمنة، وأخرى مخيفة، ومن ثم يأتي ترتيب الأفعال تبعاً لورود نوعي المكان في السياق القصصي في سورة الكهف على نحو ما هو وارد في جدول (1) ؛ حيث نلاحظ أن نوعي المكان قد تبادلا وتشاكلا في قصص السورة الأربع، وقد ضمت كل قصة - على حدة- نوعي المكان (الآمن والمخيف)، وقد جاءت بعض الأمكنة الآمنة في وضع (الثبات) كالكهف، والبنيان/ المسجد، والسد أو الردم، على حين جاء بعضها معبراً عن (الحركة) كمجمع البحرين، كما لعبت (الجنتان) دوراً مزدوجاً، فجاءتا مرة معبّرتين عن الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي والمادي عندما أثمرتا ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [29]، فكانتا لصاحبهما مكاناً آمناً، مدعاة للفرح والفخر والتباهي بل كانتا سبب غروره، وظلمه لنفسه، وكفره بربه فقال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن

رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[30]. وقد عبّر القرآن عن حال ذلك المتكبر المغترّ باستخدام لفظ " رُدِدتُ " بدلاً من " رُجعت " التي استخدمت في سورة " فصلت " ؛ " لأن الرد عن الشيء يتضمن كراهة المردود، ولما كان في الكهف تقديره: ولئن رددت عن جنّتي هذه التي أظن ألا تبيد أبداً إلى ربي، كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى، وليس في " حم " ما يدل على الكراهة، فذكر بلفظ " الرجع " ليقع في كل سورة ما يليق بها "[31]، ثم إن هاتين الجنتين – ذاتهما– ما لبثتا أن أصبحتا مكاناً عدائياً مخيفاً، مدعاة للحزن والحسرة والندم، فصوّرت الآية تلك المشاعر على الصعيدين؛ المادي المرئي الظاهر، والمعنوي النفسي الباطن، وذلك من خلال الإحاطة بثمره ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا .﴾[32] ؛ أي " على سقوفها "[33]، ومتمثلاً كذلك في حال صاحبها وهو﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ وكأني به يضرب بكفٍّ يمناه كفَّ يسراه، في حركة يتخيلها الذهن، وكأنك تراها أمامك رأي العين، ثم يعكس الحركة ضارباً بكفٍّ يسراه كف يمناه في صورة تشبه حال جنتيه وقد رآهما خاويتين على عروشهما، تلك الجنتان اللتان كان منتفشاً بهما كالديك حال إثمارهما، فأصبح الآن نادماً ليس على ذلك المنظر المؤلم لحال الجنتين/ المكان، وهما أمام ناظريه خاويتان خاليتان من أي مظهر من مظاهر الجمال فحسب بل إنه نادم كذلك على ما أنفق فيهما من مال حتى يصيرا على تلك الحالة التي دعته للبطر والكفر بنعمة الله عليه ،فيزداد ندماً على ندم، وألماً نفسياً على ألم، لتلتقي الصورة الحسية في الواقع المنظور مع الصورة النفسية في الإحساس المتخيّل.

إن المكان في قصص سورة الكهف يتمرد على المعروف الثابت، والمعهود الراسخ في ذهن البشر؛ ليجعل اللهُ له ناموساً خاصاً، وطبيعة مغايرة لذلك النمط المتعارف عليه في الوضعية العادية للمكان، ليسهم المكان بإعجازه المتفرد في رسم الصورة التي أرادها الله –سبحانه– بارزة شاخصة معبرة عن قدرته الغالبة، وسلطانه القاهر، ووحدانيته التي توجب العبادة له وحده سبحانه، كما تُرسِّخ صدق نبوة محمد (ﷺ)، وتثبت صدق الوحي والرسالة الخاتمة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا [34]. إن العجب ليس في قصة أصحاب الكهف فحسب بل هذا غيض من فيض مما في علم الله –عز وجل –من عجائب قدرته.

وفي رحلة المكان في سَير السورة نلمس ذلك التمرد على المعهود والمتوقع من أدوار المكان؛ فيستحيل المكان المخيف مرفأ للأمن كما هي الحال مع (الكهف)، ويستحيل المكان الآمن – مظنة النجاة– مكاناً مخيفاً؛ فالسفينة، عنوان النجاة، تغدو مكاناً مخيفاً، وذلك من خلال خرق العبد الصالح لها، وهو ما حمل موسى على السؤال مستنكراً ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[35]. ليتأكد ما ذهبنا إليه من أن المكان في قصص سورة الكهف ذو وضعية خاصة تكسر تلك النمطية التي تقدمها نظريات السرد من تصورات مختلفة لتلك الثنائية التي تمثل تعارضاً بين المكان المغلق؛ والمكان المفتوح؛ باعتبار الأول مكاناً آمناً حامياً، وباعتبار الثاني على العكس من لك، فيجمع القرآن في توظيفه المكان بين المتناقضين معاً.

المكان المغلق(الجنتان) ⟵ + مخالفة أمر الله = خوف

+ تكبر وبطر وكفر = دمار وعقاب ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾

المكان المغلق (الكهف) ⟵ + طاعة الله والإيمان به = أمن ورحمة (ينشر لكم ربكم من رحمته . .)

المكان المفتوح (السد)⟵+ إرجاع الأمر لله = رحمة ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي . .﴾

المكان المفتوح (مغرب الشمس)⟵+ كفر بالله = عذاب وقتل﴿ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ . . .﴾

وجدول (2) يلقي الضوء على الثنائيات التي لها دورها في الدلالة الكلية للسرد في قصص سورة الكهف الأربع المرتبطة حتماً بالغرض الديني.

وبنظرة تحليلية لذلك الجدول، وما شمله من أماكن نجد أن عدد الأماكن قد بلغ – بتكرار بعضها في بعض الآيات– سبعة وثلاثين مكاناً، وقد جاء المكان الآمن 21 مرة، بنسبة 56,7 %، وجاء المكان المخيف 16 مرة، بنسبة 43,3%، وكان حضور أمكنة الأمن في قصة أصحاب الكهف أكبر، وتمثيلها أكثر من أمكنة الخوف، وهو ما ينسجم مع غرض السرد في هذه القصة؛ فمن يكن في معية الله –عز وجل– وطاعته فإن الأمن– بلا شك – نصيبه وجزاؤه وملازمه، ولو كان في بطن مكان مخيف كما الحال مع الكهف مكاناً آمناً

للفتية المؤمنين في قصة أصحاب الكهف.

أمّا عن تمثيل الأمكنة وحضورها مع قصة (صاحب الجنتين)، فإذا نظرنا إلى القصة مضيفين إليها تعقيب القرآن عليها في الآيات التي تليها (من الآية 44 إلى الآية 59) نجد زيادة أمكنة الخوف عن أمكنة الأمن، كالآيات المتعلقة بضرب المثل بالحياة الدنيا، ومشهد يوم القيامة، وتسيير الجبال، وبروز الأرض، ومشهد العرض على الله -عز وجل- في هذا اليوم العصيب، بما فيه من وضع كتب الأعمال، وإشفاق المجرمين مما فيها، وندمهم ودهشتهم من عدم مغادرة الكتاب صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وكذلك عرض موقف إبليس وتكبره، ثم رؤية المجرمين النار، وتيقنهم من دخولها، ومشهد ملازمة النار لهم من كل مكان ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾، وبيان عاقبة القرى الظالمة التي أهلكها الله -عز وجل-، ضارباً لهم موعداً محدداً، وهذه الآيات المعقبات على قصة صاحب الجنتين هي -بلا شك- مكملات للقصة، فما جنتا الكافر وغروره بهما إلا مثال مصغر لغرور الإنسان بالدنيا ونعيمها الزائل "والذي يتتبع قصص القرآن يجد عقب كل قصة تعقيباً دينياً يناسب العبرة فيها" [36]؛ ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[37]. يقول الرازي: "اعلم أن المقصود: اضرب مثلاً آخر على حقارة الدنيا، وقلة بقائها، والكلام متصل بما تقدم من قصة المشركين المتكبرين على فقراء المؤمنين، فقال: (واضرب لهم)؛ أي لهؤلاء الذين افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين (مثل الحياة الدنيا) ثم ذكر المثل.. [38]، وقد علّق الرازي على آيات صاحب الجنتين ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا أَعۡنَابٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ [39]، قائلاً: "اعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين، فبيّن تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنياً والغني فقيراً، أمّا الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته، فهي حاصلة لفقراء المسلمين، وتبيّن ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية، فقال: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾" [40]، وهو دليل على ارتباط ضرب المثل بالحياة الدنيا بقصة صاحب الجنتين، كما يدل على انسجام الدور المكاني بدلالاته في السياق كله، ومن

ثم نجد تفوق المكان المخيف مقارنة بالمكان الآمن؛ لأن السياق يقتضيه، سياق المعتمد على الدنيا بزخرفها – الذي رشّحته الجنتان في القصة – فتكون أمكنة الخوف هي الغالبة، سواء بتحطم ذلك (الزخرف/ الجنتان/ المكان) في الدنيا، أم بظهور أمكنة الخوف الكبرى في مشهد العرض الذي تسير فيه الجبال الراسيات، وتبرز الأرض في مشهد مروّع لم يألفه البشر، ولم يعتادوا رؤيته، ثم تزداد أمكنة الخوف حضوراً وتخويفاً، وذلك حاضر في مشهد رؤية المجرمين النار ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (41). وتصل الأمكنة في قصة موسى والعبد الصالح إلى سبعة أمكنة، جاء المكان الآمن فيها 5 مرات، في حين جاءت أمكنة الخوف مرتين. وأمكنة الخوف في قصة موسى والعبد الصالح لم تمثل الخوف بوصفه شعوراً يضاد الإحساس بالأمن بقدر ما مثلت العدائية وعدم الارتباط بالمكان، خاصة المكان/ الجدار/ القرية؛ وذلك لرفض أهل القرية ضيافتهما ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، وقد ذكر ابن قيم الجوزية أربعة مواضع لتلك الأمثال الواردة في سورة الكهف (42).

وجانب الخوف في السفينة إنما جاء من خرق العبد الصالح لها، وبصفة عامة فإن سياق قصة موسى مع العبد الصالح هو سياق تعليم لموسى، وتأكيد أنه ليس أعلم أهل الأرض كما ظن واعتقد، وكان ذلك الظرف التعليمي من خلال درس عملي خاضه موسى واقعاً مَعيشاً، وتجربة حقيقية واقعية، شاهد أحداثها حيناً، وشارك فيها مع العبد الصالح حيناً آخر، وسياق التعليم قد يصاحبه إعجاب ودهشة، لا خوف وخشية، ومن ثم انزوت أمكنة الخوف في هذه القصة – على طولها- مقارنة بقصص سورة الكهف الثلاث الأخر.

أما قصة (ذو القرنين) فقد تساوت فيها أمكنة الأمن مع أمكنة الخوف؛ مما يجعلها تجاري سياق السرد في القصة؛ إذ إن من أغراض القصة بيان أن كل من في الأرض إلى زوال، ومن شُكْر نعم الله إرجاعُ النعمة والتوفيق فيها إلى الله وحده، وبيان أن العدل بين الرعية يدل على صلاح الولاية، وأن العقوبات تُطهّر المؤمن، وبيان أنه يجب منع أهل الفساد عن فسادهم، وهي أغراض يصلح معها الترغيب والترهيب، ومن ثم تساوت أمكنة الأمن وأمكنة الخوف.

وبنظرة عامة إلى المكان في قصص سورة الكهف من حيث السعة والضيق نجد أن الأمكنة الواسعة قد جاءت 24 مرة من إجمالي الأمكنة الواردة في سورة الكهف وعددها 28 (دون ذكر الأماكن المكررة) ، أمّا الأمكنة الضيقة فقد جاءت 4 مرات فقط .

ويتفوق كذلك المكان اللامحدود على المكان المحدود؛ حيث جاء اللامحدود 19 مرة، والمحدود 9 مرات، وجاء المكان المفتوح 20 مرة، في حين جاء المكان المغلق 8 مرات .

أمّا المكان من حيث الثبات والحركة، فقد تفوق المكان الثابت حضوراً وتمثيلاً على المكان المتحرك؛ إذ جاء الأول 20 مرة، وجاء الثاني 8 مرات فقط .

وتَفَوُّقُ تمثيلِ أمكنةِ الاتساعِ على نظيرتها من الأمكنة الضيقة، وكذلك تفوقُ تمثيلِ المكانِ اللامحدودِ على المكان المحدود، وتفوقُ تمثيلِ المكانِ المفتوح على المكان المغلق، وكذلك تفوقُ الثابت على المتحرك، يتفق ذلك التفوقُ ويساير أغراض السرد في السورة بقصصها الأربع، فرحمة الله -عز وجل-واسعة، ولم يمنع ضيق المكان/ الكهف من أن تشمل تلك الرحمة قاطنيه، وعلى الرغم من انعزال الفتية في الكهف (309 سنة)؛ فقد عادوا وانفتحوا على المكان الواسع من خلال إرسال أحدهم إلى المدينة لشراء الطعام، فيعلم الناس بأمرهم، ويكشف الغطاء عن قصتهم، وتخرج القصة من إطار(الكهف/ المكان الضيق/ المغلق/ المحدود) إلى نطاق السعة والانفتاح واللامحدودية، ليخلد ذكرهم، وذكر المكان معهم .

وفي قصة موسى مع العبد الصالح تتسع مدارك موسى ليعلم أن علم البشر محدود إذا قيس - ولا مجال للقياس- بعلم الله اللامحدود، وقد مثّل المكان الواسع المفتوح اللامحدود أكثر الأمكنة وروداً في القصة ليتواءم مع غرضها، وإن كان المكان المتحرك قد تفوّق على المكان الثابت من حيث العدد في قصة موسى مع الخضر على خلاف كل قصص سورة الكهف ليناسب ذلك المعروف عن شخصية موسى -عليه السلام- المندفعة؛ فهو " نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج "[43] . فكانت حركة (المكان/ البحر/ السفينة/ السفر للقاء العبد الصالح) مناسبة طبيعة موسى الانفعالية، فواءمت جو القصة القائمة على حركة المكان والزمان والأحداث والشخصيات من بدايتها إلى نهايتها .

وفي قصة صاحب الجنتين كان للمكان حضوره الواسع المفتوح الثابت اللامحدود؛ كان لهذه الصفات المكانية الغلبة على مضاداتها، وخاصة جانب السعة واللامحدودية التي استأثرت بكل التمثيل، ولم تترك لصنوتها تمثيلاً، وكان لجانب الثبات الغلبة على جانب الحركة بنسبة (7 إلى 1) لينسجم ذلك التمثيل مع غرض القصة؛ فمنهج الله -عز وجل -ثابت لا يتغير، ومن ثم كان العقاب لهذا المتكبر البَطِر المغرور بما أعطاه الله إياه من نعم، نتيجة حتمية لذلك.

وتتجلى سعة المكان وانفتاحه وثباته ولا محدوديته بشكل أوضح في قصة (ذوالقرنين) من الآية 83 إلى الآية 98. وهو ما تقتضيه طبيعة السرد في هذه القصة أيضاً؛ فالمكان يأخذ هنا منحى آخر من الغرابة، وجانباً آخر من جوانب الإعجاز، وهيئة أخرى من الانفتاح والاتساع، فإذا كان المكان قد اتخذ في السورة شكلاً تدريجياً من حيث الضيق والاتساع، فبدأ بالكهف مكاناً ضيقاً ثم اتسع في حلقته الثانية مع ثاني القصص؛ قصة (الجنتين)، ثم أصبح أكثر اتساعاً في قصة موسى مع العبد الصالح؛ وقد أخذ المكان فيها أكثر من شكل وهيئة يربطها جميعاً خيط واحد متمثلاً في رحلة موسى مع العبد الصالح ومصاحبته إياه في رحلتهما المثيرة؛ فنجد مجمع البحرين، البحر، القرية، أقول: إذا كان المكان قد أخذ منحى تدريجياً من حيث الاتساع فإنه قد بلغ أوجه في قصة (ذو القرنين)، التي شمل المكان فيها الأرض كلها؛ مغربها ومشرقها، مغرب شمسها، ومطلعها.

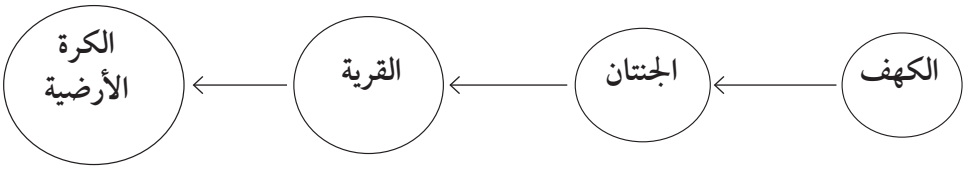

يبدأ المكان ضيقاً ثم يأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً حتى تصبح الأرض كلها مسرحاً للأحداث، وقد ساعد تعدد الأمكنة على حرية الحركة والانطلاق، وسمح للشخصيات بالنمو، وللأحداث بالتطور، ونقل المكان غرابته إلى الأحداث بل إنه صبغ بعض الشخصيات بصبغته؛ كشخصية (ذو القرنين) وما أعطاه الله من قدرة أدخلت هذه

الشخصية في مجال الإعجاز الذي رسم حدود المكان (مغرب الشمس- مطلع الشمس- السد أو الردم - يأجوج ومأجوج).

إن إعجاز المكان استلزم واقتضى إعجازاً للشخصيات والأحداث، فلم يتقدم عنصر من عناصر القص في إطاره الإعجازي ويتخلف آخر، وإنما سارت كل عناصر القص في نسق واحد، ومن ثم تحقق للقصة مقومات إعجازها، وحققت غرضها الديني وكذلك الفني في الوقت ذاته.

السرد القصصي في سورة الكهف

وجدلية العلاقة بين المكان والزمان والأحداث والشخصيات

- **جدلية العلاقة بين المكان والزمان في قصص السورة**

إن الحديث عن المكان - بوصفه عنصراً من عناصر السرد- بمعزل عن الزمان يفرّغ الدراسة من مضمونها بل لعله يناقض طبيعة الأمور، وحقيقة الأشياء؛ إذ لا يمكن الفصل بينهما فصلاً نستطيع من خلاله وسم عمل أدبي بأنه زماني فقط، أو وصف آخر بأنه مكاني فحسب؛ فالعنصران - الزمان والمكان- مرتبطان ارتباطاً مشيمياً؛ إذ لابد من مكان تقع فيه الأحداث، ولابد أيضاً من زمان يسمح لتلك الأحداث بالتطور والنمو" فلا مكان يتشكّل ويتحوّل ويتجلى إلا بعامل زماني معيّن، ولا زمان يرصد ويقدم ويحدد إلا بمكان يحتويه، ويجعل من ذاته مسكناً للزمن " [44].

ويمثل المكان والزمان الإحداثيات الأساسية التي تحدد الأشياء الفيزيقية [45]. وإذا كان بالمقدور الإحساس بالمكان وإدراكه إدراكاً مباشراً؛ كون المكان أكثر التصاقاً بحياة البشر فإن الإحساس بالزمان حالة ذاتية، ومن ثم "يكشف المكان عن تواصل زمني معه، فلا مكان بدون زمان" [46]. وإذا كان المكان هو الركيزة الأساس التي ينبني عليها السرد القصصي، فإنه من غير شك يستدعي حضوراً زمنياً يتجسّد فيه، وهو ما يؤكد أهمية الزمن في بناء القصة، وعلى الرغم من أن إدراك الشخصية الإنسانية للمكان هو إدراك حسي، وإدراكها للزمان هو إدراك نفسي، فإنهما بانصهارهما معاً تتحقق للحدث قيمته الواقعية.

ولم يتخلف المكان عن الزمان في سياق ورودهما في القصص القرآني ولم يبعدا عن الأغراض الدينية التوجيهية؛ فمنها التأريخ للأحداث وتأكيد صدقها وواقعيتها، وهي جزء لا يتجزأ من صدق القرآن وإعجازه، ومنها إظهار قدرة الله -سبحانه وتعالى- في التحكم بالزمن، ويتضح ذلك في قصص سورة الكهف؛ كقصة أصحاب الكهف، وقصة يأجوج ومأجوج، وقصة ذي القرنين؛ حيث كان ورود الزمن وحضوره خارقاً لنواميس الزمن الوضعي.

وتتداخل الأزمنة في سورة الكهف وتتعاقب، كما تتعدد الأمكنة وتتنوع، وعلى الرغم من أن توظيف هذين العنصرين قد جاء ليخدم الغرض الديني في المقام الأول فإن الغاية الجمالية لم تتخلف عن ذلك الغرض بل إنها قد أسهمت في إثارة خيال المتلقي من خلال تداخل الزمان بالمكان والحدث في قصة أصحاب الكهف ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾[47]. فالزمن هنا مُجمَل (سنّين عدداً)، والمكان (الكهف بتفرده)، والحدث بغرابته، لم يألفه البشر - بل لم يتكرر- من حيث النوم هذا الزمن الطويل (309 سنوات)، ومن ثم يرتبط الزمان بالمكان ارتباطاً عجيباً من خلال تلك الحركة التصويرية للشمس، وهي تميل عن الكهف مرة عن اليمين؛ متزاورة عن ساكنيه، ومرة عن اليسار قارضة لهم، "وهذا دليل على أن باب هذا الكهف من نحو الشمال؛ لأنه تعالى أخبر أن الشمس، إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين)؛ أي : يتقلص الفيء يمنة كما قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة: (تزاور)؛ أي: تميل؛ ذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان؛ ولهذا قال : (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال)؛ أي : تدخل إلى غارهم من شمال بابه، وهو من ناحية المشرق، وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة، وسير الشمس والقمر والكواكب، وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب، ولا تزاور الفيء يميناً ولا شمالاً، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع، بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب"[48]. والكهف هنا حاضر لم يغب عن المخيلة والتصور، كما أن الزمان ماثل فاعل من خلال حركة الشمس، والتفاعل بين

العنصرين نابع من ذلك التقاطب بين ثبات الكهف المكان، وحركة الشمس جيئة وذهاباً دالة على حركة الزمان المتواترة المؤكدة الإعجاز من كل وجه، الكاشفة عن قدرة الله في حفظ أجساد الفتية في كهف مهجور في زمن تجاوز ثلاثة قرون؛ ذلك الزمن الذي أجملته السورة في بداية القصة (سنينَ عدداً) ؛ لأن سياق الإجمال في القصة بصفة عامة اقتضى الإجمال كذلك في الحديث عن الزمن، فلمّا فصّلت القصة أميط اللثام عن الزمن المتمثل في عدد السنين ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾[49] . والعجيب أن المكان قد اقترن بالزمان في الإجمال كما اقترن به في التفصيل أيضاً؛ فالإعجاز كما كان في الزمان كان أيضاً في المكان، وفي الحدث المشارك لهما كذلك، لقد تم تصوير المظهر الخارجي للكهف بحركة الشمس يميناً وشمالاً، ولكن لا تقدم صورة أصحاب الكهف، وقد عملت لفظة "تزاور" على إحياء المشهد[50]، وعلى الرغم من تطور أدوات المسرح الحديث" فإنه بكل ما فيه من طرق الإضاءة ليكاد يعجز عن تصوير هذه الحركة المتماوجة، حركة الشمس وهي تزاورعن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه"[51] .

ويتخلى الزمان عن المكان في قصة البعث﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴾ [52]، ويرتبط بالحدث؛ حدث البعث؛ لأن تأكيده أهم، ولأن المكان معه مفتوح غامض غير محدد، ومن ثم يمكننا القول إن القصة القرآنية في تفاعلها مع ثنائية الزمان والمكان "ظلت صارمة في قصديتها، وفي اقتصادها الأدائي؛ فهي ترجِّح في كيانها الفني بعدي الزمان والمكان بالقدر الذي يستلزمه تشكيل الحدث، والوصول به إلى مغزاه التربوي الاعتباري" [53] .

وحضور الزمان والمكان في قصة أصحاب الكهف ارتبط بالحدث والغاية والغرض، وكلها تسير في انسجام مع الغرض الديني، ومن ثم قد يحضر المكان، ويُذكر صراحة، وقد يتأخر الزمان أو يُقدّم بحسب ما يقتضيه الغرض الديني، ولحضورهما دور، كما أن لتواريهما واختفائهما غرضاً ودوراً كذلك، فكأنهما في غيابهما يؤديان دوراً ما كان له أن يتحقق لو ذكرا صراحة . "فللزمان والمكان المجهولين درامية تختلف عن المعروضين، ولهما وقع أكيد يعتمد على الإرسال والبث القرآني، فتلك الأنباء التي ترد إلى الناس غير معلومة المكان والزمان تشد أغوارهم للتلقي الكامل " [54] .

• **بين المكان والحدث في قصص سورة الكهف**

يظهر دور المكان من خلال سير الأحداث وتعاظمها فيه حيناً، ومن خلال خفوت تلك الأحداث وخلو المكان منها حيناً آخر، ولكلٍّ مقتضياتٌ تحتمها ضرورة القص، والغرض منه، وهذا ما اتضح في قصص سورة الكهف على النحو الآتي:

• **إرفاق الأحداث بذكر المكان**

هنا يحتم الحدث ذكر المكان؛ كونه يسهم في صياغته، ويوضح تسلسله، ويكشف نتائجه، وقد ورد في قصص سورة الكهف ذكر أماكن معينة ذِكراً صريحاً مباشراً ذا دلالة مرجعية كمجمع البحرين، كما أن هناك أماكن اكتسبت عَلَميتها من خلال إثبات السياق القرآني لها كالكهف، والجنتين، ويخضع ذِكر هذه الأماكن لمقاصد القرآن وأغراضه الدينية، وما يستتبعه القص من مغزى، وإذا كانت تسمية الأماكن بأسمائها في الأعمال السردية – التي هي من نتاج البشر – تضفي عليها صفة الواقعية، أو تقترب بها على أقل تقدير من أودية الصدق وعالم الواقع، ولو على سبيل الإيهام، فإن هذه السمة تختلف في القصة القرآنية عنها في غيرها؛ لأن القصة القرآنية هي محض الواقع، وعين الصدق. وجانب الخيال فيها نابع من إحالات تلك الأمكنة، ومن سحر واقعيتها الذي يحتاج قدراً من التأمل الشفيف الذي يعد أحد مقاصد القص الفني الراقي الذي لا يبوح بأسراره مجاناً إن صحّ التعبير، وإنما يحتاج لقدر من التأني والتأمل، وقراءة الدلالات الضمنية والبِنَى العميقة "فالقيمة الإيحائية للخطاب القرآني تكسب المكانية القرآنية المحددة دلالة مطلقة، تتجاوز بها هندسيتها ليسري مفعولها في الفضاء غير المقيد بزمان أو مكان، ويكون صالحاً لكل الأجيال "[55].

لقد اشتملت قصص سورة الكهف على أحداث تاريخية عظيمة، لم تتكرر في مواضع أخرى من القرآن الكريم في غير هذه السورة، كقصة أصحاب الكهف، وكقصة يأجوج ومأجوج، وتلك الأحداث العظيمة التي رافقت تلك القصص اقتضت أماكن خاصة متنوعة ومتعددة تقع فيها، وتحتضن أحداثها، ومن ثم يصبح "من العسير أن نتصور القرآن غير مثبت لأماكن جرت فيها بعض قصصه؛ حين يكون ذكر هذه الأماكن مهماً ومساعداً العقل البشري على التمثل "[56].

• **إخلاء الأحداث من المكان**

قد يرد المكان ضمنياً فتخلو الأحداث من ذكره صراحة، ويرجع ذلك إلى معالجة القرآن في هذا الموضع لموضوع عام، تجري فيه العِبرة وتصلح لكل زمان ومكان، ويظهر هذا المثل في (قصة صاحب الجنتين)؛ حيث ركز السرد على حال الرجلين؛ الغني المتكبر المُغترِّ بنعم الله عليه، والفقير الصالح، المدرك حقيقة الحياة الدنيا. ولم تحدد لنا القصة مكان الجنتين، ولا أسماء الشخصيات؛ لأن الدرس هنا أعم، والعبرة أوسع وأشمل من تلك الحالة الفردية؛ فهي تمثل نموذجاً عاماً، يتكرر في حياة الناس كل يوم؛ فالناس بين مغتر بماله، مشغول بالحياة الدنيا كحال صاحب الجنتين، وبين راض بمقدور الله، عز وجل، مدرك للحقيقة الكبرى، فهو ينظر إلى الحياة الدنيا نظرة العارف بخداعها، الواعي بمواطن فتنتها، الراجع إلى ربه في كل أمر مُسلِّماً راضياً كحال الرجل المؤمن الناصح لصاحب الجنتين؛ ولأن القصة تدور حول هذين المحورين العامين المتكررين لم تتعيّن بمكان محدّد، ولم تنتسب إليه، وإنما غدا مسرحها هذه الحياة كلها، وهذا الكون الفسيح بأسْره، وقد يكون عدم تطرق القصة لذكر المكان نظراً لأن غاية النص القرآني كانت ترسي مبدأً يتجاوز حدود الجغرافية، ليسري عبر الأبعاد المكانية قاطبة.

إن خلو الأحداث من ذِكر المكان يؤسس فضاءً مكانياً مطلقاً يحتمه غرض القصة الديني؛ فالخطاب القرآني حتى في عدم تحديده الأماكن بأسمائها، يؤسس فضاء مكانياً، فكأن للمكان وجوداً مؤثراً، وحضوراً فاعلاً حال حضوره، وحال غيابه أيضاً، فكما أن للمكان جماليات حضور، فإن له كذلك جماليات غياب. والقرآن ليس كتاب تاريخ يعاب عليه ذكر أماكن أو تجاهل أخرى، إنه كتاب تشريع، رسالتُه هداية البشر، ليسعدوا في دنياهم وأخراهم، وهو في سيره في هذه الرحلة يسوق القصص لأخذ العبرة والعظة؛ فالقصة فيه مطية لغايات أبعد، ومن ثم يأتي توظيفها في إطار ذلك الهدف العام، والغرض الأسمى.

واقتران المكان بالحدث ضرورة لازمة، فلا حدث من دون مكان يقع فيه، ولا مكان يساق بلا أحداث تحركه من ثباته، وتبعث فيه الحياة، ومن ثم كان ورود الأمكنة في قصص

سورة الكهف كاشفاً عن تجليات القدرة الإلهية، وإنما قصدنا بإخلاء الأحداث من الأمكنة تواريها، وإفساح المجال أمام الحدث ليظهر دوره، ويتضح أثره، أمّا المكان فموجود في ثباته، أو حركته بحسب ما تقتضيه ضرورة القص، وبحسب ما يتطلبه الغرض الديني في قصص القرآن عامة، وقصص سورة الكهف – محل الدراسة – خاصة.

• **الشخصيات وعناصر القص في سورة الكهف :**

للشخصيات في قصص سورة الكهف حضور عجيب، وشأن كبير، كانت فيه على موعد مع إعجاز المكان والأحداث، بل بقية عناصر القص التي لم تتخلف عنه؛ لتكمل السورة مشوار إعجازها؛ فالملاحظ على شخصيات سورة الكهف أنها جاءت كلها بجنس المذكر؛ فلا حضور لجنس الإناث ولا تمثيل له، اللهم إلا تضمين ذِكْر الأم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ (57). وقد جاءت هذه الصيغة للتغليب في قصة الغلام الذي قتله العبد الصالح.

والملاحظة الثانية على شخصيات قصص سورة الكهف تتمثل في ذلك الحضور الكثيف لفئة الفتيان والغلمان، والأولاد والبنين، على نحو: (فتية الكهف – فتى موسى – الغلام المقتول – الغلامان اليتيمان)، وهذا ينسجم مع الهدف العام للسورة، المتمثل في بيان عصمة الله وحفظه أولياءه الصالحين من الفتن؛ ومنها فتنة الأولاد، ولعل طبيعة الذكورة تساير خط سير السورة، وتنسجم مع أحداثها المعتمدة على الحركة المتسارعة المرتكزة على الجهد العضلي الجسدي كما في حال موسى مع فتاه في رحلة بحثهما عن العبد الصالح، وهي رحلة بحرية فيها من تجشم الأهوال والمخاطر، ومن بذل الجهد العضلي ما يتناسب مع جانب الذكورة المتمثل في موسى وفتاه. والعجيب أنْ جاء التعبير بالنَّصَب والتَّعَب على لسان موسى المعروف بالقوة والفتوة ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾(58). تأتي هذه الآية على لسان موسى الذي عبّر القرآن عن قوته في موضع آخر بقوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (59). إنّ النَّصَب والتعب قد أصابا الشابين الذَّكرَين القويين، فكيف كانت الحال لو أنّ أحد أبطال القصة من الإناث؟! ناهيك عن أن سياق القصة لا يتطلب حضوراً لعنصر أنثوي ولا يقتضيه.

وفي قصة صاحب الجنتين ما يرشح حضور جانب الذكر لا الأنثى من عدة أوجه؛ **أولها** : أن وصف الجنتين وجمالهما وإثمارهما، ومدى الجهد المبذول في إصلاحهما يتوافق مع طبيعة الرجل القادر على العمل في الزراعة ومشاقها.

وثانيها: أن نهاية القصة قد أظهرت جانب الحسرة والندم، وهما وإن كانا عند المرأة/ الأنثى ظاهرين واضحين بحكم طبيعتها التي تغلب عليها العاطفة فإنهما قد جاءا على لسان رجل/ ذكر كان مغتراً متكبراً منتفشاً، فإذا به يصبح نادماً متحسراً ليظهر فداحة المصاب، ويصور الحالة النفسية السيئة التي آل إليها ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ (60). فما بالك لو كان الأمر متعلقاً بامرأة/ أنثى؟! وكيف هي حالها لو كان ما صار للرجل وجنته قد صار لها؟! لقد ترك السياق القرآني الباب مفتوحاً لخيال المتلقي – ذكراً كان أو انثى– يتصور ويتخيل.

المكان والشخصيات بين القيود والإحساس بالحرية

يرتبط المكان بالحرية من خلال حركة شخوصه، وقد ظهر ذلك من خلال رحلة موسى مع العبد الصالح؛ ففي البداية كانت حرية موسى مع فتاه في رحلة البحث عن العبد الصالح؛ حيث ذهبا وتجاوزا الصخرة، ثم عادا من أجل حوتهما الذي اتخذ سبيله في البحر سرباً. إن الإحساس بالحرية هنا قد تجاوز موسى وفتاه إلى غير العاقل، إلى الحوت؛ فالمكان مفتوح، وحرية الحركة متاحة؛ لأنه لا يوجد تصادم مع موانع أو عقبات تحول دون هذه الحركة أو تلك، فالوسط الخارجي هنا محايد، ومن ثم تتضح علاقة الإنسان (موسى وفتاه) بالمكان من خلال مجموع الأفعال التي استطاعا أن يقوما بها، فموسى قد أصرّ على بلوغ مجمع البحرين، ومن ثم يبلغانه، وفي غمرة البحث عن العبد الصالح ينسيان حوتهما ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (61)، حتى الحوت لديه حرية حركة مكانية في المطلق، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾، هكذا بالإضافة إلى هاء الغيبة، وكأنها سبيل مرسومة معروفة له (سرباً).

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ إلام يعود الضمير في قوله: (بينهما)؟ "فيه قولان؛ الأول: أي مجمع البحرين، والثاني أن المعنى: فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه موسى وصاحبه والذي كان يقصده؛ لأن ذلك الموضع الذي وقع

فيه نسيان الحوت هو الموضع الذي كان يسكنه الخضر أو يسكن بقربه، ولأجل هذا المعنى لمّا رجع موسى وفتاه بعد أن ذكر الحدث صار إليه، وهو معنى حسن "[62]، وهنا يُجسِّد المكان أكثر من معنى من خلال إضافة ظرف المكان (بين)- الذي يرسخ المكانية- إلى ضمير الغائب (هما) والمعروف أنّ كلمة (بين) تعني البعاد والمفارقة؛ إذن فهي تحمل معنى الفصل بين البحرين (مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا).

وفي قصة أصحاب الكهف تلجأ الشخصيات(الفتية) إلى الكهف المحدود المقيِّد -ظاهرياً- للحرية، ولكنه مثّل لهم حرية نفسية افتقدوها في عيشهم في كنف الظالمين بعالمهم الفسيح مكانياً، الضيق نفسياً، ومن ثم نجد أن إحساس الشخصيات بالحرية ارتبط بالجانب النفسي، وقد عبّر القرآن عن ذلك بقوله: ﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[63].

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الممتعة، والصحبة الطيبة مع قصص سورة الكهف المباركة، ومن خلال دراسة المكان فيها بدلالاته المفعمة، وعلاقاته المتنوعة، وتقاطباته المختلفة، وأغراضه المتعددة، ومحاولة تحليله بوصفه مكوناً رئيساً من مكونات السرد فيها يمكننا إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة فيما يأتي:

أولاً: تَفرُّد قصص سورة الكهف بسردية مختلفة عن سائر الخطابات السردية الوضعية من جهة؛ وذلك لأن مصدرها هو الله، سبحانه وتعالى، وهذا أمر لا مجال فيه لشك ولا لمراء، إضافة إلى تفرد أمكنة قصص سورة الكهف بخصوصية لم تتوافر لأمكنة أخرى في قصص القرآن الأخرى؛ فقصص هذه السورة لم تتكرر في موضع آخر من القرآن الكريم، عدا قصة موسى التي ذكرها القرآن في مواضع أخرى، ولكنها - أيضاً- كان لها هنا خصوصية كون هذا الفصل من فصول حياة موسى مختلفاً عن بقية فصول حياته التي ذكرت في مواضع متعددة من القرآن الكريم.

ثانياً: تفاوت دور المكان في قصص سورة الكهف بحسب تركيز القرآن الكريم على أبنية القصص بما يخدم الفكرة الرئيسة التي يحرص القرآن على تأكيدها.

ثالثاً: أنّ تعدد الأمكنة في قصص سورة الكهف وتنوعها، وظهورها أو تواريها إنما يخضع لمقتضيات أحداث القصة وغاياتها التي تعتمد حبكة تقوم على الترابط المتين بين أجزائها لتبليغ الرسالة الدينية، وهو ما جمع بين خيوط الأمكنة في تلاحم مكاني رصين، فتلاحمت أمكنة القصة الواحدة، وانتظمت أمكنة قصص السورة الأربع في خيط دلالي واحد جمع وشائجها.

رابعاً: أنّ تآزر البعد الفني مع الغرض الديني وارتباط المكان بالبعدين أو الغرضين معاً أضفى على قصص سورة الكهف جماليات ما كان لها أن تتحقق لولا هذا الارتباط وذلك التآزر.

خامساً : أن كثيراً من دلالات قصص سورة الكهف وإيحاءاتها قد رشّحها تواري المكان، كما رشحها أيضاً حضوره؛ مما يؤكد أن حضور المكان وظهوره كان لغاية وقيمة، كما أن غيابه وتواريه كان لغاية وقيمة أيضاً، وقد ظهرت كثير من جماليات المكان حال وجوده وحضوره؛ كما ظهرت أيضاً حال غيابه وتواريه، ومن ثم فقد ارتفعت فنية توظيف المكان في صورة الكهف إلى حد تقاصر دونه توظيف المكان في أي نص وضعي مهما بلغ شأوه.

سادساً: تنوع الخط البياني لتقاطبات المكان وتأرجحه بين الصعود والهبوط، أو كثرة الورود وقِلَّته في قصص سورة الكهف أكسبها قدراً هائلاً من التشويق والإثارة التي تجعل قارئها أو المستمع إليها لا يمل من قراءتها أو الاستماع إليها.

وأخيراً؛ فإن منهجية البحث اقتضت مِنّي هنا أن أصل به إلى ختامه، وإن كنت على يقين تام من أن هناك كثيراً من الأمور المعرفية والفنية والجمالية ما زالت بعيدة المنال عنّي وعن غيري، وهذا لطبيعة النص القرآني المعجز الذي لا يبوح بكل كنوزه، وإنما يعطي بعض نفحاته لمن وفقه الله ورافق هذا القرآن، نسأل الله أن نكون جميعاً من رفقائه.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

جدول (1)

م	وحدات الأفعال	رقم الآيات	نوع التقاطب	نوع المكان
1	وحدات الإيواء في الكهف	آية10، 16	مكان آمن/ الكهف	عجائبي
2	وحدات تغيير الوضع والجهة	آية 18	مكان مخيف/ تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال	عجائبي
3	وحدات الإيقاظ والبعث	آية 19	مكان مخيف/ المدينة	مرجعي/ تاريخي
4	وحدة البناء	آية 21	مكان آمن/ المسجد	عجائبي
5	وحدة الجنتين	آية 32	مكان آمن(الجنتان حال إثمارهما)	عجائبي
6	وحدة الصعق	آية 32	مكان مخيف (الجنتان بعد الصعق)	عجائبي
7	وحدة تسيير الجبال	آية 42	مكان مخيف(مشهد الجبال وهي تسير)	عجائبي
8	وحدات بلوغ مجمع البحرين	آية60/ 61	مكان آمن (مجمع البحرين)	مرجعي/ تاريخي
9	وحدة خرق السفينة	آية 71	مكان مخيف/ (السفينة)	عجائبي
10	وحدة إقامة الجدار	آية 77	مكان آمن/ القرية والجدار	مرجعي/ تاريخي
11	وحدة بلوغ مغرب الشمس ومطلعها	آية من 86 إلى 90	مكان مخيف/ مغرب الشمس ومطلعها .	عجائبي
12	وحدة إقامة السد/ الردم	94/ 95	مكان آمن/ السد – الردم	عجائبي

جدول (2)

م	المكان	رقم الآية	واسع/ ضيق	محدود/ لا محدود	مفتوح/ مغلق	ثابت / متحرك	آمن / مخيف
1	الأرض	6 – 7	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخيف
2	الأرض	47	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	مخيف
3	الأرض	84	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن
4	الكهف	9 – 11	ضيق	محدود	مغلق	ثابت	آمن
5	السماوات والأرض	14 –15	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن
6	المدينة	19 ، 82	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن
7	البنيان/ المسجد	21	واسع	محدود	مغلق	ثابت	آمن
8	ناراً – سرادقها	29	ضيق	محدود	مغلق	ثابت	مخيف
	جهنم	106	ضيق	محدود	مغلق	ثابت	مخيف
9	جنات عدن	31	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن
	الأنهار	31	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	آمن
	الفردوس	107	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن
10	الجنتان	32 – 33	واسع	محدود	مغلق	ثابت	آمن
	جنتيه	35	واسع	محدود	مغلق	ثابت	مخيف
	جنتك	39	واسع	محدود	مغلق	ثابت	آمن
11	السماء	40	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخيف
12	الحياة الدنيا	45	واسع	محدود	مفتوح	ثابت	مخيف
13	الجبال	47	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	مخيف
م	المكان	رقم الآية	واسع/ ضيق	محدود/ لا محدود	مفتوح/ مغلق	ثابت / متحرك	آمن / مخيف
14	القرى	59	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخيف آمن للعبد الصالح / مخيف لموسى
	القرية/ المدينة	77	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	

15	مجمع البحرين	60	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	آمن
16	البحر	61	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	آمن
	البحر	78	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	آمن
	البحر	109	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	آمن
17	(السفينة) بالنسبة لموسى مع الخضر	71	ضيق	محدود	مغلق	متحرك	مخيف
	السفينة) بالنسبة للمساكين	78	ضيق	محدود	مغلق	متحرك	آمن
18	مغرب الشمس	86	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخيف
19	مطلع الشمس	90	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخيف
20	بين السدين	93	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	مخيف
21	السد/ الردم	94 /95	واسع	لا محدود	مفتوح	ثابت	آمن
22	جعله دكاء	98	واسع	لا محدود	مفتوح	متحرك	مخيف

الهوامش والمراجع

(1) قطب، محمد: **من جماليات التصوير في القرآن**، ط3، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص7.

(2) سورة فصلت، آية (42).

(3) عشّاب، آمنة: **الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني**؛ سورة يوسف نموذجاً، الجزائر، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2006، ص1.

(4) أمين شيخ، بكري: **التعبير الفني في القرآن**، ط4، عمّان، الأردن، دار الشروق، ص 203.

(5) جينيت، جيرار وآخرون: **الفضاء الروائي**، ترجمة: عبد الرحيم حُزَل، ط1، الدار البيضاء، دار أفريقيا الشرق، 2002، ص60.

(6) الحبك المكاني في السياق **القصصي القرآني**؛ **سورة يوسف نموذجاً**، ص14.

(7) عبدربه، عبد الحافظ: **بحوث في القصة**، ط1، بيروت، دار الشباب اللبناني، 1994، ص44.

(8) السعافين، إبراهيم: **تحولات الرد**: **دراسات في الرواية العربية**، ط1، عمّان، الأردن، دار الشروق، 1996، ص165.

(9) الطحان، يوسف سليمان: **الوصف في قصص سورة الكهف**: دراسة تحليلية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج 7، عدد (14-1)، 2013.

(10) أباظة، ثروت: **السرد القصصي في القرآن الكريم**، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص7 .

(11) سورة الكهف، الآية (10) .

(12) الرازي، محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري: **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ج21، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص100

(13) سورة الكهف، الآية (16) .

(14) ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ودار بيروت 1956، مادة: (نشر) .

(15) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج21، ص84 .

(16) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج21، ص 100 .

(17) سورة الكهف، الآية (1) .

(18) سورة الكهف، الآية (110) .

(19) قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن**، ط16، القاهرة: دار الشروق، 2002 . ، ص156 .

(20) عبدربه، عبد الحافظ: **بحوث في القصة**، ط1، بيروت، دار الشباب اللبناني، 1994، ص 44 .

(21) مرتاض، عبد الملك: **التحليل السيّمائيّ للخطاب الشعريّ (تحليل بالإجراء المستوياتيّ لقصيدة شناشيل ابنة الحلبيّ)**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2005، ص 8 .

(22) سورة الكهف، الآية (9) .

(23) الشوابكة، محمد: **دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف**، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة إربد، الأردن، العدد 2، لسنة 1991 : 1 .

(24) قاسم، سيزا: **جماليات المكان**، ط2، الدار البيضاء: دار قرطبة، ص59 .

(25) بحراوي، حسن: **بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)**، ط1، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990، ص33 .

(26) جماليات المكان، ط2، ص63

(27) التحليل السيّمائيّ للخطاب الشعريّ (تحليل بالإجراء المستوياتيّ لقصيدة شناشيل ابنة الحلبيّ)، ص20 .

(28) التحليل السيّمائيّ للخطاب الشعريّ (تحليل بالإجراء المستوياتيّ لقصيدة شناشيل ابنة الحلبيّ)، ص20 .

(29) سورة الكهف، آية (33) .

(30) سورة الكهف، آية(36) .

(31) الكرماني، محمود بن حمزة: **من أسرار التكرار في القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة للطباعة والنشر، ص169 .

(32) سورة الكهف، آية (42) .

(33) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: **معاني القرآن**، ج3، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1983، ص145.

(34) سورة الكهف، آية 9.

(35) سورة الكهف، آية 71.

(36) التصوير **الفني في القرآن**، ص169.

(37) سورة الكهف، آية 45.

(38) تفسير الفخر الرازي المشتهر **بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ص 131.

(39) سورة الكهف، آية (32).

(40) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ص124–125.

(41) سورة الكهف، آية (53).

(42) الجوزية، ابن القيم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب: **الأمثال في القرآن الكريم**، بيروت، دار المعرفة، ط1981، صفحات (65، 68، 70).

(43) التصوير الفني في القرآن، ص20.

(44) النابلسي، شاكر: **جماليات المكان في الرواية العربية**، ط1، بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1994، ص 237.

(45) الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني؛ سورة يوسف نموذجاً، ص72.

(46) الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني؛ سورة يوسف نموذجاً، ص72.

(47) سورة الكهف، آية 11.

(48) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 2002، ص143.

(49) سورة الكهف، آية 25.

(50) السعدون، نبهان حسون: **الشكل القصصي في القرآن الكريم**: دراسة جمالية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1999، ص194.

(51) **التصوير الفني في القرآن** 1959، ص157.

(52) سورة الكهف، آية 12.

(53) عشراتي، سليمان: **الخطاب القرآني – مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي**، ط3، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص 104.

(54) الخطاب القرآني – مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي، ص 104.

(55) الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني؛ سورة يوسف نموذجاً، ص 71.

(56) محمد، طول: **البنية السردية في القصص القرآني**، ط1، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص 53–54.

(57) سورة الكهف، آية 80.

(58) سور الكهف، آية 62 .
(59) سورة القصص، آية 15 .
(60) سور الكهف، آية 42 .
(61) سورة الكهف، آية . 61
(62) تفسير الفخر الرازي المشتهر **بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ص147 .
(63) سورة الكهف، آية 16 .

المراجع بالحروف اللاتينية

References in Roman Script

(1) sūrt fṣlt, (āyh,t (42)
(2) sūrt al-qṣṣ (āyh,t 15)
(3) (1110 /80/71/62/61/53/42/33/25/16/12/11/10/9/):). sūrt al-khf, al-āyāt (3)
(4) ibn kṯīr, ʾsmāʿīl bn ʿmr al-qršy al-dmšqy: tfsīr al- qrʾān al-ʾẓīm, tḥqyq: sāmī bn mḥmd al-slāmh,t, dār ṭībh,t..
(5) ibn mnẓūr, ğmāl al-dīn mḥmd bn mkrm: lsān ʾlʿrb, byrūt: dār ṣādr, wdār byrūt 1956
(6) Al-razī, mḥmd fḫr al-dīn ibn al-ʿlāmh,t dyʾ al-dīn ʿmr al-mšthr bḫṭīb al-ry: tfsīr al- fḫr al-razī al-mšthr bal-tfsīr al-kbīr wmfātīḥ al-ġyb, ğ21, ṭ1, byrūt, dār al-fkr llṭbāh,t wal-nšr wal-twzīʿ, 1981.
(7) Al-krmānī, mḥmūd bn ḥmzh,t: mn ʾsrār al-tkrār fī al-qrʾān, tḥqīq: ʿbd al-qādr ʾḥmdʿta, dār al-fdīlh,t lltbāh,t wal-nšr.
(8) Al-frāʾ, yḥyā bn zyād: mʿānī al- qrʾān, ğ3, ṭ3, byrūt: ʿlm al-ktb, 1983
(9) šāb, ʾāmnh,: al-ḥbk al-mkānī fī al-syāq al-qṣṣy al-qrʾānī; sūrh,t ūsf nmūdh ğan, al- ğ zāʾr, ğāmʿh,t ḥsībh,t bn būʿly, klyh,t al-ʾādāb wal-lġāt, qsm al- lġāt al-ʿrbyh,t wʾādābhā, 2006.
(10) Al-sʿāfyn, ʾbrāhīm: tḥwlāt al-rd: drāsāt fī al-rwāyh,t al-ʿrbyh,t, ṭ1, ʿmān, al-ʾrdn, dār al-šrūq, 1996
(11) al-ğūzyh,t, ibn al-qym, tḥqīq: sʿīd mḥmd nmr al-ḫṭb: al-ʾmṯāl fī al-qrʾān al-krīm, byrūt, dar al-mʿrfh,t, ṭ 1981 .
(12) mīn šīḫ, bkrī: al-tʿbīr al-fnī fī al-qrʾān, ṭ4, ʿmān, al-ʾrdn, dār al-šrīq.
(13) bāẓh,t, ṯrwt: al-srd al-qṣṣy fī al-qrʾān al-krīm, Kairo, dār nhdh,t mṣr ll ṭbāʿh,t wal-nšr .
(14) ğīnīt, ğīrār wʾāḫrūn: al-fdāʾ al-rwāʾī , trğmh,t: ʿbd al-rḥīm ḥuzl, ṭ1, al-dār al-bydāʾ, dār ʾfrīqyā al-šrq,2002
(15) bḥrāwī, ḥsn: bnyh,t al-škl al-rwāʾī (al-fdāʾ - al-zmn – al-šḫṣyh,t), ṭ1, byrūt - al-dār al-bydāʾ, al-mrkz al-ṯqāfī al-ʿrbī .
(16) šrātī, slymān: al-ḫtāb al-qrʾānī – mqārbh,t twsīfyh,t lğmālyh,t al-srd al-ʾğāzī, ṭ3, al-ğzāʾr: dywān al-mṭbūʾāt al-ğāmʿyh,t, 1998. qṭb, syd: al-tṣwīr al-fnī fī al-qrʾān, ṭ16, Kairo: dār al-šrūq, 2002
(17) qāsm, sīzā: ğmālyāt al-mkān, ṭ2, al-dār al-bydāʾ: dār qrṭbh,t .

(18) Al-nāblsī, šākr: ğmālyāt al-mkān fī al-rwāyh,t al-ʿrbyh,t, ṭ1, byrūt, lbnān: al-mʾssh,t al-ʿrbyh,t lldrāsāt wal-nšr,1994

(19) bdrbh, ʿbd al-ḫāfz: bḫūṯ fī al-qṣh,t, ṭ1, byrūt, dār al-šbāb al-lbnānī, 1994

(20) al-šwābkt, mḫmd: dlālh,t al-mkān fī mdn al-mlḫ lʿbd al-rḫmn mnīf, mğlh,t ʾbḫāṯ al-yrmūk, ğāmʿh,t ʾrbd, alʾrdn, al-ʿdd 2, lsnh,t 1991 :1.

(21) mrtād, ʿbd al-mlk, al-tḫlīl al-sīmāʾy llḫtāb al-šry (tḫlīl blʾğrāʾ al-mstwyātī lqṣīdh,t šnāšīl ibnh,t al-ḫlby), dmšq: mnšūrāt itḫād al-ktāb al-ʿrb, 2005

(22) ṭūl, mḫmd: al-bnyh,t al-srdyh,t fī al-qṣṣ al-qrʾānī, ṭ1, al-ğzāʾr: dywān al-mṭbūʿāt al-ğāmʿyh,t.

(23) Al-sʿdūn, nbhān ḫsūn: al-škl al-qṣṣī fī al-qrʾān al-krīm: drāsh,t ğmālyh,t, rsālh,t māğstīr, klyh,t al-ʾādāb, ğāmʿh,t al-mūṣl, 1999.

(24) qṭb, mḫmd: mn ğmālyāt al-tṣwīr fī al-qrʾān, ṭ3, Kairo, al-hyʾh,t al-mṣryh,t al-ʿāmh,t llktāb, 2006

(25) Al-ṭḫān, yūsf slymān: al-wsf fī qss sūrt al-khf: drāsh,t tḫlīlīh,t, mğlh,t klyh,t al-ʿlūm al-ʾslāmyh,t, mğ 7, ʿdd (142013 ,(1-

مجلة العلوم الاجتماعية

تأسست عام ١٩٧٣م. فصلية. محكّمة. تصدر عن مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاجتماع والخدمة الاجتماعية
وعلم النفس والأنروبولوجيا والجغرافيا وعلوم المكتبات والمعلومات والأعلام

رئيس التحرير:
د. مها مشاري السجاري

تفتح أبوابها أمام

- أوسع مشاركة للباحثين العرب في مجال العلوم الاجتماعية لنشر البحوث الأصيلة والاسهام في معالجة قضايا مجتمعهم
- ترحب بالدراسات المقارنة وتشجع على التكامل بين مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية
- عرض مراجعات الكتب والتقارير وملخصات رسائل ماجستير والدكتوراه
- تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى EBSCO PUBLISHING و دار المنظومة www.mandumah.com

توجه جميع المراسلات إلى:
رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت
ص. ب: 27780 الصفاة، 13055 الكويت
تلفون: 00965 24810436
فاكس: 24836026

jss@ku.edu.kw
E-mail jsskuwait@gmail.com

الاشتراكات

	الكويت والدول العربية	الدول الأجنبية
أفراد	٣ دنانير سنوياً في الكويت ٤ دنانير في الدول العربية	١٥ دولاراً
مؤسسات	١٥ ديناراً في السنة ٢٥ ديناراً لمدة سنتين	٦٠ دولاراً في السنة ١١٠ دولارات لسنتين

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم جامعة الكويت أو بتحويل مصرفي لحساب جامعة الكويت رقم ٠٤٢١٠٢٦٠٨ لدى البنك المركزي في الكويت.

IBN / KW 21CBKU 00000000000000004202608

Visit our Website: apc. kuniv.edu.kw/jss

حساب المجلة بالاستغرام: @jsskuwait

حساب المجلة بالتويتر: @jsskuwait1